

*ميري كوك

التعليم كوسيلة للتحرر من داعش: نبذ التطرف في الموصل

مع إقتراب تحرير الموصل، تتوجه الانظار الى ديناميات ما بعد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، لكن في غياب سياسات مستوفية لنبذ التطرف بما في ذلك في نظام التعليم، فإن المنهج الخاص بداعش سيبقى كامناً أو قابلاً للتحويل مُثبحة الفرصة لمجموعة متطرفة اخرى بالظهور.

إن عملية تحرير الموصل باتت يحرز تقدماً سريعاً بشكل يصفها البعض على أنها بداية لنهاية تنظيم داعش، ومع ذلك فإن هزيمة قوات هذا التنظيم لا تعني بالضرورة هزيمة الأيدولوجية التي يتبناها التنظيم. ومن المهم ادراك ان الانتقال الى مرحلة الحكم الذي يلي داعش يتطلب في فحواه مراعاة للتأثير الذي أحدثته سيطرة داعش على الشعب منذ 2014 وبالأخص في مجال التعليم. ما يُناقشه هذا البحث هو أنه على الرغم من أن التنظيم أستخدم نظام التعليم كجزء رئيسي لإحداث التأثير، إلا أنه يُمكن استخدامه بالمثل في هزيمة هذه الفئة؛ وهذا يعتبر مثلاً للدور الثنائي الذي يلعبه التعليم، البناء والهدام. يسلط هذا البحث الضوء على خطوات سياسية رئيسة مُصممة لتمهيد الطريق أمام عملية تحرير الموصل وذلك بناءً على عدد من المبادرات المُطورة عالمياً.

الدور الهدام: نظام التعليم تحت سيطرة تنظيم داعش

لقد استخدم تنظيم داعش نظام التعليم لدعم سيطرتهم بطريقة تمت مقارنتها بالحركة النازية الألمانية حيث أنهم قاموا بحذف مواد ومواضيع كالتاريخ والفن والجغرافية والأدب والموسيقى من المناهج واستبدالها بتدريس المهارات اللازمة لتكوين أعضاء فاعلين في مايسمونه بالخلافة، وسواء كان ذلك بالمشاركة في البيروقراطية كأمهات أو كجنود متكاملة. على سبيل المثال، تضمنت الكتب الانكليزية التي وُجدت في الموصل والتي تُدرس لِعُمر الـ 11 عاماً تمارين تُعلم طريقة قراءة الوقت الخاص بالساعات والمنبهات المربوطة بالديناميت، أما كتب قواعد اللغة العربية التي تُدرس للأعمار التي تتراوح بين 7-8 أعوام فقد تضمنت أمثلة وردت فيها كلمات كالتفجير والشهيد. ان احتكار داعش على عملية التعليم امتدت ايضاً الى التعليم العالي حيث انهم اعدوا فتح جامعة الموصل واطلقوا عليها اسم الجامعة الاسلامية. بالاضافة الى انهم أغلقوا الأقسام الخاصة بالقانون والعلوم السياسية وعلم الآثار والتعليم الجسدي والفلسفة والسياحة. وبهذا فقد تم تشريع العنف في حياة هؤلاء الشباب بطريقة غير مباشرة من خلال نظام داعش واخرى غير مباشرة من خلال تدريسهم النسخة الداعشية لمفهوم التقوى.

ان التعرض الى مستوى العنف الذي يُمارسه تنظيم داعش يُمكن أن يؤدي الى حالة اضطراب وتوتر صادمة وهي حالة تجعل من الصعب جداً للشخص أن يعمل ويتواصل مع المجتمع، وبشكل خاص فان داعش كان لديها تأثيراً مباشراً على تشكيل معتقدات وقيم الأطفال وبالأخص اولئك الذين تم تجنيدهم كجنود. وقد تفاخر أحد المقاتلين الدواعش "لقد تم زرع العقيدة الصحيحة في هؤلاء الأطفال، جميعهم يُحبون أن يُقاتلوا من أجل تأسيس الدولة الإسلامية ومن أجل الله". بالرغم من ادعاءات الرجل الديني السني خالد

المُلا بأن هؤلاء الأطفال والشباب تم غسل عقولهم إلا أن هذه الحالة قابلة للعلاج حيث ان الطابع الأخلاقي لدى هؤلاء الفئة غير ثابت ومن الممكن تطويره وتحسينه. ان السياسات التي تتمحور وتُعالج هذه القضية تحتاج أن تُنفذ من أجل التأكد بأن الجيل القادم قادر على خلق حوار جديد للتقدم للأمام ويقع نظام التعليم في موقع فريد من شأنه أن يخدم هذه الوظيفة وذلك نظراً لدوره الرئيسي في المجتمع.

الدور البناء: تمهيد الطريق الى الأمام

الإصلاح في التعليم: هناك فرصة للقيام بالإصلاح في المجال التعليمي في الموصل. بالرغم من أن العراق كان سابقاً سابقاً في مجال التعليم في المنطقة إلا أن هذه السمعة أخذت بالانحدار حتى قبل سيطرة تنظيم داعش. يتطلب هذا الأمر دراسة منفصلة ومن الممكن أن تشمل نظاماً من مستويين على المدى القصير وذلك لتلبية احتياجات هؤلاء الذين درسوا وفقاً لنظام داعش واولئك الذين لم يتلقوا التعليم تحت نظامهم لحين يتم دمج جميع الطلاب تحت نظام موحد. من القضايا العملية الأخرى المطلوب معالجتها هي انتاج وتوزيع الكتب المدرسية التي تتفق مع المناهج الوطنية المُعتمدة فضلاً عن الأطفال المعدومي الهوية والذين وُلدوا في وقت منعت فيها داعش دخولهم للمدارس. الى مدى معين سيساعد الإصلاح التعليمي مع التحسينات الأخرى الخاصة بالعوامل التي تنبثق من عملية التحرير والتعمير المتتابع للموصل في نبذ التطرف بشكل غير مباشر. ويمكن أن يحدث هذا من خلال توفير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الضرورية لمنع عملية التجنيد في المنظمات الارهابية وبشكل خاص إذا كان نظام التعليم موجهاً بشكل جلي باتجاه التوظيف وكما هو الحال في برنامج باكستان.

الاستثمار في التعليم: يحتاج نظام التعليم الى استثمار ومن ضمنه الأفراد العاملين فيه حيث ان الكثير من التدريسين والموظفين المدنيين وكما وردت اعلامياً تم اعدامهم من قبل داعش لرفضهم قبول التغييرات التي أدخلتها داعش على المناهج، لذلك لا بد من إعادة احداث التأثيرات المعتدلة. كذلك ينبغي أن تُطبق الاجراءات الرقابية في الموصل كما هو الحال في المملكة العربية السعودية للتأكد من أن التدريسين لا يدعون للمواقف 'المتطرفة'. من الممكن أن يتم إدارة وتنفيذ هذه العملية عن طريق أشخاص مؤهلين ومدرّبين محليين نظراً لفهمهم للانشقاقات بين الفئات في البلد مع إمكانية وجود الإشراف الدولي إذا لزم الأمر.

نقاش حول الاسلام: يتطلب العامل الديني تضميناً في سياسات نبذ التطرف في التعليم. بالرغم من أن دور الاسلام بين جماعات مثل داعش يعد أمراً متنازعاً عليه إلا ان الدواعش استخدموا الاسلام كمبرر لأفعالهم ويجب ان يتم معالجة هذا التأويل الخاص بالدين. من الممكن أن يشمل ذلك انخراط للشخصيات الدينية في السياسات المقترحة وبالأخص ضمن مشروع الرقابة المقترح على الرغم من أن اجراءات التدقيق يجب أن تُنفذ من قبل هيئة مستقلة. على كل حال يجب أن تُصمم هذه السياسة وفقاً للسياق وأن تُراعي ايضاً الأقليات التي تسكن في الموصل بدلاً من فرض صيغة من الدين مفروضة من قبل الدولة. لذا ففي بيئة الصفوف الدراسية يجب التركيز على النقاشات الأخلاقية والقيم المشتركة للسماح بالشمولية فإذا كان الاسلام يُدرس كموضوع في الصفوف الدراسية فان القيم الاسلامية كالتسامح مع الاديان الأخرى والعدالة ومالي ذلك يمكن ان تُركز فيها وكما هو مُتبع في الجزائر .

النشاطات الصفية: ينبغي اعطاء الطلاب الفرصة للتغلب على المعتقدات التي تم نقلها ضمن بيئة داعمة حيث انه من المهم جداً ان تُصمم فعاليات ومبادرات بطريقة تلائم العمر من حيث المضمون والشكل. قد تتضمن تلك الفعاليات او المبادرات ورش عمل وبرامج للنقاش (كما هو مطبق في البنغلاديش) او أنشطة مثل الألعاب والتمارين ولعب الأدوار (كما هو مطبق في الدنمارك) او لقاء محاضرات في المدارس والجامعات (كما هو الحال في المملكة العربية السعودية) او أنشطة كوميدية في المدارس تحمل في مضمونها رسالة تعادي التطرف (كما هو الحال في الأردن) او فعاليات ومبادرات على الانترنت مثل تلك التي تُعرض في المواقع الالكترونية التي تطرح فيها حوارات معاكسة والتي تتضمن عدة انواع من الحملات العالمية التي تهدف الى مواجهة ونبذ التطرف .

ومن المهم أن تكون هذه البرامج على قدر كبير من التفاعل بشكل يسمح للطلاب التعامل مع الموضوع بشكل كامل وتحليل المعلومات المنقولة لهم. ويجب ايضاً تحديد العناصر المناسبة للمشاركة في هذه البرامج مع امكانية مشاركة عناصر المجتمع المدني لتعزيز فعالية هذه المبادرات. بينما يتضمن البرنامج الخاص بايرلندا الشمالية والمسمى من السجن الى السلام قصص يرويها مسلحين سابقين وضحايا والتي تأسست من قبل التحالف من أجل اندونيسيا سلمية إلا أنه قد لا يكون من المستحسن وضع هكذا مجاميع في الموصل في هذه المرحلة وذلك لتجنب خلق توتر اضافي واضطراب عاطفي ومع ذلك فمن الممكن أن تكون هذه المبادرات ذا فائدة على المدى الطويل.

مشاريع وبرامج توجيهية: توفير برامج دعم مباشرة موجهة من فرد الى اخر مطلوبة ايضاً لفئة شباب معينة كالطلاب ذوي المعتقدات الراسخة وهي ميزة من المرجح أن تنتشر لدى فئة عمرية محددة تكون فيها الفعاليات والمبادرات الصفية على مستوى غير كافي. لذلك يمكن تطبيق برامج توجيهية يُسمح فيها للطلاب طرح ومجادلة افكارهم في جو آمن وينبغي على الأشخاص الذين يتولون هذه البرامج أن يكونوا مدربين تدريباً كاملاً ومحاورين ذوي مصداقية ومحل احترام من قبل الطلاب. بالإضافة الى ذلك فالاستشارة والدعم النفسي ضرورية لأفراد معينين كما هو مطبق في مركز ساباؤون الابتكاري في الباكستان والخاص بالمقاتلين السابقين اليافعين وايضاً في دول اخرى كالمملكة العربية السعودية التي تطبقها مع السجناء. هناك ايضاً حاجة لتدريب الكادر الموجود في المدارس والجامعات للتأكد من قدرتهم على توجيه الطلاب الذين هم في حاجة الى هذه البرامج واستخلاص الدروس الخاصة بحالات من تلك التي تُدرس في المملكة المتحدة والتي أدت الى خلق مناخ مثير للتساؤلات.

الخاتمة: التقدم بحذر

ان سياسات تضمين نبذ التطرف في المناهج الدراسية ينبغي أن تُعامل بحذر حيث ان التعليم ميدان مهم للفكر الحر، ومن الضروري أن لا يتم اعاقه هذا الأمر. ان مسمى نبذ التطرف في حد ذاته مثير للجدل وبالأخص لأن التطرف مصطلح متنازع عليه، لذا فان الطريقة التي تُقدم فيها هذه السياسات لديها آثار وتأويلات هامة لتصورها وتقبلها. ينبغي كذلك تطوير برامج للشباب في الموصل مع مشاوره الخبراء لتقدير التأثيرات المتعددة للعمر والجنس على تجارب الطلاب. إن صيغ المراقبة والتقييم ينبغي أن تُنفذ من أجل تقييم تأثير البرنامج بشكل مستمر خصوصاً بأن تقييمات برامج مماثلة محدودة. بالإضافة الى ذلك يجب أن تكون هذه المبادرات جزءاً من استراتيجية أوسع نطاقاً حيث أن المعتقدات لوحدها لا تسبب نشاط ارهابي. ومن الواجب ايضاً التأكيد على مسألة أنه بالرغم من أن هذه المقالة كُتبت لديناميات الموصل إلا أن برامج نبذ التطرف مطلوبة في العراق كله. على الرغم من هذه التحفظات فان سياسات نبذ التطرف في التعليم هي مطلوبة بشدة في الموصل نظراً للظروف الفريدة فيها وذلك تجنباً لعودة ظهور مجموعة مماثلة بين الجيل القادم، وهذه بدورها تعد تهديداً أمنياً من الممكن أن يكون له تداعيات خطيرة.

الإقتباس: Cook, M. (2016) Education as a way out of IS: Deradicalisation in Mosul, MERI Policy Brief. vol. 3, no. 23. الآراء الواردة في هذا المنشور تعكس آراء الكاتب وليس بالضرورة مؤسسة الشرق الأوسط للبحوث.